المحاضرة رقم (02):

مفهوم البلاغة وتطوره عند علماء العربية

إنّ الحديث عن مفهوم البلاغة ينبغي أن ينطلق من مصطلحها (البلاغة)، وكيف تقبله العلماء عبر مراحل تطور التفكير البلاغي، وما يمكن قوله في هذا السياق أن هذا المفهوم عن ما في الاستعمال، فنظرة الجاحظ إليه تختلف عن نظرة ابن المعتز، وكذا عند علماء الإعجاز، وحتى إلى عبد القاهر الجرجاني، ثم كيف تحقق المفهوم في مشروع السكاكي في كتابه: « مفتاح العلوم ».

ارتبطت البلاغة في أول أمرها بالاعتقاد " قيل لعَمرو بن عُبيد: ما البلاغة؟ قال: ما بلغ بك الجنّة وعدل بك عن النّار، وما بصّرك مواقع رشدك وعواقب غيّك"[1]. وهو تعريف يشير أنّ مفهوم العلماء للبلاغة كان يدور على اعتبار أنّها أداة مساعدة في الفهم والإفهام.

وهذا التعريف نجده أيضا عند ابن المقفع فيعرف البلاغة على أنّها " كشف ما غمض من الحقّ وتصوير الحق في صورة الباطل"[2].

كما هو حياة أيّ علم فإنّ مصطلح (البلاغة) لم يستقل بمفهومه، ولم يجري على ألسنة العلماء كما حاله اليوم، إذ إنّ دلالته ارتبطت بمصطلحات أخرى كالبراعة والفصاحة والبيان. ومن ثمّ نجد الجاحظ يرادف في الاستعمال بين البلاغة والبراعة والفصاحة والبيان، والحق كما سنرى أن هذه المصطلحات تختلف جوهريا في المفهوم. والمطلع على كتاب ابن المعتز يستعمل مصطلح " البديع " بدلا عن مصطلح "البلاغة "، عنوانا لكتابه؛ المهم أن تطور التفكير تلك الحجاب عن الاستعمال. غير أن الذي يهمنا في ذلك هو مفهوم علم البلاغة أي النظر إلى الفضة البلاغة " باعتبارها قائمة على العلم، فما المراد منه؟ .

---

[1] الجاحظ : البيان و التبين، ج1، ص 114.

Scanné avec CamScanner

جامعة غليزان
المجلس العلمي
كلية الآداب واللغات

لقد بحث الجاحظ في مفهوم العلم البلاغة، ونقل في آثاره " البيان والتبيين " مفهوما لها، فكان ذالك أولا من الأمم الأخرى: قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل. وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام؟ .

وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي ما البلاغة؟ قال : وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

ونقل الجاحظ قول الرواة والإخباريين، وقد دار بينه وبين العتّابي حوار. قلت للعتّابي: ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ، فإنّ اللسان الذي يروق الألسنة، ويفوق كل خطيب ، فإظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل في صور الحق ، قلت له : قد عرفت الإعادة و الحبسة ، فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه: يا هذا، وياهيه، واسمع مني واستمع إلي، وافهمي علي، أو لست تفهم، أو لست تعقل فهذا كله وما أشبهه عي وفساد[1] .

وأما البلاغة عند أبي هلال العسكري (ت 395هـ) فهي المقصود منها ائتلاف اللفظ مع المعنى، وحسن الإصغاء للمتكلم[2].

وابن رشيق ربط البلاغة بالإيجاز في اللفظ والإطناب في المعنى[3]. ولرماني (ت 384هـ) قول مشهور في تعريفها: وهي " إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ[4] ". ويمكن أن تصل إلى مفهوم البلاغة وفق ما تحقق في المدرسة السكاكية البلاغية، ونقصد بذلك قول تلميذه الخطيب القزويني، معرفا إياها: " مطابقة الكلام المقتضى الحال مع فصاحته ".

وبناء على ذلك فمفهوم علم البلاغة يتجلى في مجموع مفهوم علومه الثلاثة، وهو علم المعاني" تتبع خواص تراكيب الكلام ورعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال "، وعلم البيان " إيراد

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق ناصر محمدي محمد جاد، دار القدس للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص76 وما بعدها.

[2]- ينظر، العسكري: الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989، ص 74.

[3]-ابن رشيق: العمدة، ص 40.

[4]-الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، ص 76.

Scanné avec CamScanner